الورّاقة والورّاقون

في التاريخ الاسلامي

لطف الله قاري



منشورات
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

المكتبة الصغيرة

المكتبة الصّغيرة

٣٧

الوراقة والورّاقون

في التاريخ الاسلامي

لطف الله قاري

الطبعة الأولى
جمادى الأولى ١٤٠٢هـ
مــارس ١٩٨٢م

الطبعة الثانية
ربيع الأول ١٤٠٣هـ
ينــاير ١٩٨٣م

الغلاف من تصميم الفنان: عصام طنطاوي

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الوراقة والوراقون

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . تمـــهيد

أقيم فى انطاكية ، حيث يجرى نهر العـــاصى ليصب فى البحر ، جسر يصل نصف المدينة بنصفها الآخـــر . وقد بني من حجارة عريضة نقلت من الروابى على ظهور بغال انطاكية .

وعندما انتهى الجسر ، نقش على أحد أعمدته بالأغريقيـــة والآرامية : « بنى هذا الجسر الملك انطيوخوس الثاني » .

وذات مساء نزل شاب يحسبه البعض مجنوناً الى حد ما ، واستمر ينزل حتى بلغ العمود الذى نقشت عليه تلك الـكلمات ، وغطـاها بالفحم ، وكتب فوقهـــا : « حجارة هذا الجسر جيء بها من الروابي على ظهور البغـــال . وأنتم اذ تمـــرون

فوقه جيئة وذهاباً ، انما تركبون ظهور بغال انطاكية بناة هذا الجسر » .

وعندما قرأ الناس ما كتبه الشاب ، ضحك بعضهم ، وتعجب آخرون . وفيهم من قال : « ها ! نعم ! انا لنعرف الذى فعل ذلك . أما هو ذلك المجنون الصغير ؟ » .

ولكن بغلا قال وهو يضحك ، لبغل آخر : « ألا تتذكر أننا حملنا تلك الأحجار ومع ذلك لا يزال هناك من يقول حتى الآن ان الملك انطيوخوس هو الذى بنى الجسر » .

■□■

هذه القصة الرمزية لجبران يمكن اعتبارها مختصراً لنظرتين متباينتين فى الحديث عن الحضارة الاسلامية . النظرة الأولى نجد فيها من يكتب فى التاريخ يتحدث عن مجد الاسلام وحضارته فيذكر منها أبهة السلاطين . يذكرون بذخ المأمون فى زواجه من بنت وزيره ، وأنه كان يرمي عنبراً مكوراً على هيئة بندق للحاضرين ، وفى داخل كل

كرية من تلك الكريات ورقةً فيها منحة بقطعة أرض أو بستان أو مبلغ من المال . ويذكرون أن رسل ملك الروم عندما وصلوا الى بغداد استقبلتهم أبهة الخلافة بمشاهد أذهلتهم ، ومثل ذلك يروى عن السلطان الأموي بقرطبة . ويذكرون تاج محل وما أنفق عليها ، والصناع الذين عملوا في تشييدها بعد أن استقدمهم سلطان الهند من جميع أنحاء العالم الاسلامي ليبنوا ضريحاً لزوجته المتوفاة .

والنظرة الأخرى يمثلها المتمسكون بالأفكار الاسلامية الأولى . فالاسلام لا يهتم بالبذخ والبهرجة بقدر ما يهتم بالانتاج والعمل . بل ويحاسب على هدر الأموال والاثراء غير المشروع .

اذن فالحضارة الاسلامية ليست بتلك المظاهر المزدانة في ظاهرها والفاسدة في جوهرها ، وانما الحضارة الاسلامية هي سيرة البناة الحقيقيين من الذين تمثلت فيهم قيم الاسلام الخالدة من فقهاء

وعلماء وصناع وغيرهم . ونحن اليوم نستعرض سيرة عطرة لفئة من تلك الفئات التى قامت على أكتافهـا أجلى مظاهر الحضارة الاسلامية . تلك الفئـة هي الوراقون ، والمظهر الجلي الذى بنوه هو المكتبات ، صروح العلموالثقافة . فالوراقون هم ناسخو الكتب .

ولئن أغفل المؤرخون أخبار هذه الطائفـة ، فلم يهتموا بهـا اهتمامهم بأخبـار الملوك ، فان فضلهم لا يمكن انـكاره بحال . فملايين الكتب التي كانت مرتبة فى أرفف مكتباتالعالم الاسلامي الهـائلة ، فى قرطبـة ، وبغداد ، والقـاهرة ، وبخارىوفاس ، واستنبول ، وغيرها قبلاختراع الطبـاعة ، ملايين الـكتب هذه تشـهد لهـؤلاء الوراقين ، بأنهم كانوا الجنـود المجهـولين الذين شـيدوا تلك الصروخ . والمشـقة التى بذلت فى سـبيل تحرى أخبـارهم هي بعض ما يستحقونه منا .

فأخبار هذه المجموعة من بناة الحضارة الاسلامية نادرة مبعثرة فى بطون الكتب ، ولم يهتم بهم قبل الآن فيما أعلم سوى مؤلفين اثنين كانا وراقين أيضاً ، وهما محمد بن اسحاق النديم ، وياقوت الحموي .

فالأول منهما تكلم فى بداية كتابه «الفهرست» عن تطور الخط العربي ، وعن الخطاطين الذين اخترعوا خطوطاً اشتق بعضها من بعض ، فكان لكل خط غرض خاص به ، فنسمع عن خط للتوقيعات (والتوقيع هو ما نسميه اليوم : الشرح على المعاملة) ، وخط للنسخ (أى نسخ الكتب ، وهو خط النسخ المعروف اليوم) وخط الرّقاع (أى العرائض ، وهو خط الرقعة المعروف اليوم) وأنواع كثيرة جداً من الخطوط تبلغ العشرات ، ونخرج عن صلب موضوعنا لو تقصيناها .

ثم سرد أسماء الوراقين الذين كانوا يكتبون المصاحف بخطوطهم الجميلة المتقنة ، وأسماء

الذين كانوا يعملون فى زخرفة تلك المصاحف ، وأسماء الذين كانوا يجلدونهـا . كمـا ضمت مقـدمة كتابه تلك مقالات عدة فى خطوط الأمم الأخرى وفضـائل الـكتب وطريقة بري الأقلام لدى كل أمة وأنواع الورق وغير ذلك . وما سبق طبعاً غير كاف للتعرُّف على سيرة الوراقين ، ولكن هذا ما سجّله النديم على أية حال فى كتابه القيم ، الذى يستفيد منه أيٌ باحث فى تاريخ الحضارة الاسلامية على صغر حجمه .

أما ياقوت ، فقـد ترجم فى كتـابه « معجم الأدباء » ، أو حسب تسميـة مؤلفـه « ارشـاد الأريب الى معرفة الأديب » ، لبعض الوراقين . وقال فى مقدمة كتابه : « وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع اليّ من أخبـار النحويين ، واللغويين ، والنسّابين ، والقراء المشهورين ، والاخباريين ، والمؤرخـين ، **والوراقـين المعروفين** ، والكُتّاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدوّنة ، وأرباب

الخطوط المنسوبة والمعينة ، وكل من صنف فى الأدب تصنيفاً ، أو جمع فى فنه تأليفاً ... »(١) .

فهو اذن تعمد أن يترجم لزملائه الوراقين ، لأنه وراق مثلهم . فبلغ عدد الذين ترجم لهم من أولئك الوراقين (٣٠) ثلاثين ترجمة ، وعدد الذين ذكرهم عرضاً فى سياق تراجم لغيرهم من الأدباء (٢٠) عشرين رجلا ، وذلك من مجموع التراجم البالغ (١١٤٢) ألفاً ومائة واثنتين وأربعين ترجمة .

أما المؤلفون الآخرون فهم لا يذكرون أحداً من الوراقين الا اذا كان مشهوراً بعلم من العلوم، أو جاء ذكره عرضاً ضمن حادثة يرويها .

هذا عن مؤلفى التراث الاسلامي ، أما فى العصر الحديث فالحال أيضاً كذلك ، الا بعض صفحات ترد ضمن بعض الكتب ، وتعالج الموضوع على نحو لا يشفى غليل الباحث

(١) معجم الادباء ١/٤٨ .

٢. نـشأة الـوراقــة

ونبـدأ بقصـة الوراقـين من أول العهـد الاسلامي . حيث اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كتبة للوحي ، فكانوا يكتبون على الرقاع والأضلاع (أى الجلود والعظام) وجريد النخل والحجارة الرقاق البيض(١) . وكان بعض الصحابة يكتبون أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لأنفسهم(٢) .

وفي عهد أبى بكر رضي الله عنه جمع القرآن ، وهو على صورته الأولى فى جلود وعظام ، وسعف وحجـارة ، فنسـخ فى الرقـوق ، وحفظ عنـد أبى بكر ، ثم عند عمـر ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما . ثم استخرج فى عهد عثمان رضي الله عنه ، وقام بعض الصحابة بنسخه عدة نسخ(٣) .

فهؤلاء الصحابة كانوا الوراقين الأوائل . الا أنهم كانوا ينسخون بلا أجر على أغلب الظن ،

---

(١) احمد امين : فجر الاسلام .
(٢) صبحي الصالح : علوم الحديث ومصطلحة .
(٣) فجر الاسلام لاحمد امين .

حيث لم يرد نص يدل عــلى أنهــم كانوا يعملون بأجر .

أما فى عهــد الأمويين ، فان ملوك بنى أميــة اتخذوا غلماناً وأجــراء للنسخ ، فقد رُوي أن عبيد بن شرية الجرهمي ، وفد الى معاوية وقص عليه طرفاً من سير الأولين ، فأمر معاوية ناسخيه بنسخها(١) . وكان خالد بن أبى الهيــاج ناسخ الكتب فى بلاط الوليد بن عبد الملك(٢) . وقــد قال النديم عن مجموعة نادرة لخطوط العلماء فى العصر الأموي هذا : « ورأيت فى جملتها مصحفاً بخط خالد بن أبى الهيــاج صاحب عليّ عليــه السلام(٣) . والظاهر أن هناك خلطاً فى العبارة السابقــة ، فلا يعقل أن يكون صاحبــاً لعلي ثم معاصراً للوليد وبينهما خمسون سنة .

واشتغل أناس بالوراقة مقابل أجرة فى العصر الأموي هذا ، فكان منهم خالد المذكور ، ومالك

(١) الفهرست للنديم : ١٠٢ .
(٢) المصدر السابق : ٩ .
(٣) الفهرست : ٤٦ .

ابن دينار الذى كان ينسخ المصاحف بأجرة(١) وظهر فى هـذا العصر خطـاط مجيد هو قطبة ، الذى اخترع أربعـة أنواع من الخطـوط اشتق بعضها من بعض(٢) . فتفرغ قطبة هذا لاختراع الخطوط يدل على أن الناسخين كانوا كثراً نوعاً ما فى هذا العصر . الا أن العصر الأموي كان يمثل بداية الانطلاقة الحضـارية . فلم تنتشر حـرفة الوراقة كمـا انتشرت فى العصر العباسي ، ولم نسمع عن حوانيت الوراقين كما سمعنا عنها فيما بعد . ولعل أهم سبب لذلك هو ندرة الورق .

فالورق كان يصنع بمصر من نبـات البردي بكميات محدودة تبعـاً لمحدودية النبات نفسه . وبهذا كان ثمنه غالياً ، والحصول عليه صعباً .

وقد كانت المصـانع تطبع فى أعلى كل ورقة عبـارة مسيحيـة ، فأمر عبـد الملك بن مروان بتغييرها الى عبارات اسلامية . فغضب ملك الروم

(١) مصادر ترجمة مالك المذكورة في « الأعلام » للزركلي .
(٢) الفهرست : ١٠ .

لذلك . وكانت الدنانير تسكّ في بلاد الروم ، ويتداولها المسلمون ، والقراطيس (أى الورق المصنوع من البردي) تصنع بمصر ويتداولها الروم . فهدد ملك الروم بأن ينقش على الدنانير شتماً للنبي صلى الله عليه وسلم ان لم يكف عبد الملك عمنا أحدثه من تغيير العبارات على الورق . فاستشار عبد الملك ، خالد بن يزيد في هذه المعضلة ، فأشار عليه بأن يسكّ نقوداً اسلامية يستغنى بها عن نقود الروم ، ففعل(١) .

فهذا يدل على أنجميع من فى المنطقة الشاسعة التى تضم العالم القديم يومئذ (ماعدا الصين وأواسط آسيا والهند) كانوا يعتمدون على ورق مصر . فاذا عرفنا أن هذا الورق لم يكن يصنع الا من نبات خاص هو نبات البردي عرفنا كيف كان هذا الورق نادراً وغالي الثمن .

كان الورق يصنع على هيئة أدراج . كل درج له طول متعارف عليه . وقد حدث الكندي أن

(١) فتوح البلدان ، للبلاذري .

درجاً طويلا بلغ طوله ١٥ متراً(١) . الا أن الدرج العادي كانت أقصى مساحته ذراعاً فى ذراع(٢) . وكان الدرج يبـاع بدينار ونصف دينار ، وهو ثمن غالٍ ، خصوصاً اذا لاحظنا أن هذا القدر كان يدفع ايجاراً لفدان صالح للزراعة لمدة عام(٣) .

وقـد أصدر عمـر بن عبد العزيز رضي الله عنه أوامر بالاقتصـاد فى اسـتعمال الورق(٤) . وأبطل العادة التى استحدثها الوليد بن عبد الملك بأن تكون رسـائل البـلاط فى ورق كبير ، وأمر كُتّابه بتصغير الخط ، فكانت كتبه نحو شبر فى شبر(٥) .

وقد شـكا أبو نواس عجزه عن اقتنـاء الورق فقال :

---

(١) ظهر الاسلام : لاحمد امين .
(٢) صبح الأعشى : للقلقشندى .
(٣) ظهر الاسلام : لاحمد امين .
(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن عبد الحكم ص٦٤ .
(٥) الوزراء والكتاب للجهشيارى ص٤٧ ، ٥٧ وصبح الاعشى ٦/ ٢٩١ .

أريد قطعـــة قــرطاس فتعجـــزنى
وجـــل صحبى أصـــحاب القراطيس
لحـــاهم الله عـــن ود ومعـــــرفة
أن المياســـير منهـــم كالمفاليس(١)

فهذا كله دليل على غلاء وندرة الورق المصنوع من البردي ، وهو الذى كان يسمى بالقرطاس .

ثم دخلت صناعة الورق المصنوع من العشب الى العالم الاسلامي في النصف الأول من القـــرن الثاني الهجري(٢) . ثم صنع من الخرق (أى قطع القماش الباليـــة . ويلاحظ أن الورق المصنوع من البردي سمي القرطاس ، بينما سمي الورق الآخر الكاغذ) .

وعلى كل فان قصة الورق طويلة جداً بحيث لم نذكـــر منهـــا الا ما يتعلق بموضوع نشـــأة الوراقة . أما المزيد من التفاصيل فهو فى المصادر التالية :

---

(١) ديوان ابى نواس .
(٢) مقالة « الورق والكاغذ ، صناعته فى العصور الاسلامية » المذكورة فى السطور التالية .

١ ـ مقدمة كاترمير لكتاب «جامع التواريخ» لفضل الله الهمذاني ، الجزء الأول من الترجمة العربية ، ص١٦٦ وما بعدها .

٢ ـ مقالة « الورق أو الكاغذ ، صناعته فى العصور الاسلامية » لكوركيس عواد ، فى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية حالياً) ٤٠٩/٢٣ .

٣ ـ «الورق والوراقة فى الحضارة الاسلامية» مقالة لمحمد طه الحاجري فى مجلة المجمع العلمي العراقي ١١٦/١٢ ، ٦٣/١٣ .

٤ ـ « ضحى الاسلام » لأحمد أمين ٢/ ٢٠ وما بعدها مع المصادر المذكورة هناك .

٥ ـ « الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة فى الاسلام » لآدم ميتز ، آخر الفصل الخامس والعشرين .

ونعود الآن الى قصة الوراقة . فقد لاحظنا أن الذين كانوا ينسخون بالأجرة وجدوا منذ أيام

الأمويين . وبذلك نستطيع أن نستنتج أن حرفة النسخ قد نشطت وانتعشت بانتشار الورق ورخص ثمنه .

وهذا ما تحدثنا به الكتب بالضبط ، فقد روى اليعقوبي أنه كان في عصره (وهو توفي سنة ٢٧٨هـ) أكثر من مائة وراق في بغداد(١) . ونلاحظ أن لكل حرفة كان هناك سوق معينة ، فهناك سوق للبزازين ، وأخرى للعطارين ، وسوق أيضاً للوراقين(٢) . وقد كان الجاحظ (١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ) في شبابه يكترى حوانيت الوراقين ليلا فيبيت فيهما بغرض مطالعة الكتب(٣) .

ولعل أجمل اختتام لحديثي عن نشأة الوراقة هو قول ابن خلدون الجامع في هذه المسألة(٤) :

---

(١) البلدان : لليعقوبي .
(٢) تاريخ الحضارة الاسلامية ، لجمال الدين سرور ، ص٢٣١ .
(٣) الكامل : للمبرد .
(٤) مقدمة ابن خلدون : ٧٥٥ .

« كانت العنـاية قديماً بالدواوين العلميـة (يقصد الكتب) والسجلات فى نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط . وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة . وقد ذهب ذلك لهذا العهد ، بذهاب الدولة وتناقص العمران ، بعد أن كان فيه فى الملة الاسلامية بحر زاخر بالعراق والأندلس . اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطـاق الدولة ونفاق أسـواق ذلك لديهما . فكثرت التآليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلهما فى الآفاق والأعصار، فانتسخت وجـلدت . وجاءت صـناعة الوراقين المعانين للانتسـاخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور المكتبية والدواوين ، واختصت بالأمصار العظيمة العمران وكانت السجلات أولا لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانيـة والاقطاعات والصكوك ، فى الرقـوق المهيـأة بالصـناعة من الجـلد ، لكثرة الرفه وقلة التآليف فى صدر الملة كما نذكره ، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك

مع ذلك . فاقتصروا على الكتاب (أى الكتابة) فى الرق تشريفاً للمكتوبات وميلا بها الى الصحة والاتقان .

ثم طما بحر التأليف والتدوين ، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه ، وضاق الرق عن ذلك . فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه (وفات على ابن خلدون أن القراطيس كانت تستعمل قبل الكاغد مع الرق) وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه . واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية . وبلغت الاجادة فى صناعته ما شاءت » .

٣. سوق الوراقين

كانت الوراقة مهنة سامية يحترفها أدباء وعلماء وفلاسفة ومحدثون كما سنرى فيما بعد عند استعراضنا لأسماء مشاهير الوراقين . وكانت سوق الوراقين منتدى فكرياً يقصده العلماء لمجالسة بعضهم والتناقش مع زملائهم الوراقين فى الشئون المختلفة .

ومما قيل فى هذه المجالس من الشعر :

مجالسة السوق مذمومة
ومنه مجالس قد تحتسب
فلا تقربن غير سوق الجياد
وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى
وهاتيك آلة أهل الأدب(١)

كما رووا أن المهلَّب بن أبى صفرة قال لبنيه : « يا بنيّ ، لا تقفوا فى السوق الا على زراد أو وراق »(٢) (والزراد صانع السلاح) . وهذا حديث مستبعد ، لأن المهلب عاش فى العصر الأموي ، حيث ندرة الورق ، وحداثة العهد بالتقدّم والرقيّ لا تسمحان بنشأة صناعة الوراقة كما رأينا .

وانتشرت أسواق الوراقين فى كل مدينة هامة من مدن العالم الاسلامي . والمصادر تذكر لنا

(١) من روائع حضارتنا ، لمصطفى السباعي .
(٢) الحيوان للجاحظ : ٥٢/١ .

أخبـــاراً عن كثير من أســـواق الوراقين فى تلك المدن .

ففي فسطاط مصر كان على عهـد الطولونيين والاخشيديين سوق عظيمة للوراقين تعرض فيها الـكتب للبيــع ، وأحيــاناً تدور فى دكاكينهــا المناظرات . وفي القاهرة بنيت ســوق للـكتبيين حوالي ســنة ٧٠٠هـ . وكانت مجمعاً للعلمــاء كذلك(١) .

وفي بغداد وجدت سوق للوراقين أو أكثر من ســوق على الأرجح . فالمصــادر تشير الى أماكن عدّة عند ذكر موضع السوق ، فمرة نجد أنها فى باب الطــاق(٢) ، وأخرى فى طاق الخــواني(٣) ، وحينــاً فى طاق الزبل ، وآخر بقصر وضاح من الجانب الغربي(٤) ، وتارة فى الجانب الشرقي(٥) ،

(١) تراث القاهرة العلمي والفني فى العصر الاسلامي : لعبد الرحمن زكي .
(٢) المقابسات للتوحيدي : المقابســة رقم ٣٠ ومعجم الادباء ليــاقوت ١٨/٩٣ .
(٣) المصدر السابق : المقابسة رقم ٤٠ .
(٤) الفهرست : ٢١٧ .
(٥) الفهرست : ١٦٣ .

وأخـــرى بجـــوار سوق الصـــاغة يفصل بينهمـــا مسجد(١) .

وفى البصرة كانت ســـوق الوراقـــين مجمعـــاً للعلمـــاء أمثـــال أبى بكر بن دريد ، والرياشي اللغويين النحويين . فقد روى النديم أن ابن دريد رأى شخصاً فى سوق الوراقين يقدم أهل الـــكوفة فى النحو ، فذهب الى الرياشي الذى كان جالساً فى السوق وروى له ما رآه ، فأخذ الرياشي يعلق على ذلك مفضلا البصريين(٢) .

وفى قرطبة كان الوراقون من الـــكثرة بحيث نجد فى كتـــاب « تاريخ علمـــاء الأندلس » لابن الغرضى ، تراجم لأحد عشر وراقاً قرطبياً اشتهر كل واحد منهم بعـــلم ، ســـوى ما كان مجهولا ، وكانت قرطبة : « أكثر بلاد الأندلس كتباً وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب ، صار ذلك عندهم من آلات التعيـــين والرياســـة ، حتى أن الرئيس

---

(١) ياقوت : ١٩٢/١٣ .
(٢) الفهرست : ٦٤ .

منهم الذى لا تكون عنده معرفة ، يحتفل فى أن تكون فى بيته خزانة كتب ، وينتخب فيها . ليس إلا لأن يقال : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره ، والكتاب الذى هو بخط فلان قد حصله وظفر به »(١) .

وفى كتاب « ذكر أخبار أصبهان » لأبى نعيم ، نجد تراجم لأربعة وراقين من أصفهان . وفى الأهواز سوق للوراقين تناظر فيها الجبائي المعتزلي مع أحد علماء الوراقين(٢) .

كانت هذه الأسواق منتدى للعلماء والأدباء والفلاسفة وكل من له رغبة فى الكتب أو فى مجالسة ذوى الثقافة .

فكانت هذه الأسواق تحتوى على دكاكين الوراقين ، وأحياناً كانت تحتوى على مزاد علني يباع فيه مجموعات من الكتب أو كتاب واحد . ولدينا جملة من الأخبار تدل على ذلك . منها

---

(١) نفح الطيب : ٤٦٢/١ .
(٢) الفهرست : ٢١٨ .

ما رواه الخطيب التبريزي من أنه حضر مع الفصيحي صاحب عبد القاهر الجرجاني حلقة يباع فيها الكتب . فنودي على كتاب فيه شيء من مصنفات المفضل بن سلمة بن عاصم وراق الفراء(١) .

ومن الأخبار الطريفة في المزادات العلنية هذه ما رواه الحضرمي قائلا : « أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مرة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء ، الى أن وقع ، وهو بخط جيد وتسفير (أى تجليد) مليح . ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد في ثمنه ، فيرجع اليّ المنادي بالزيادة علي ، الى أن بلغ فوق حدّه ، فقلت له : ياهذا ، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلّغه الى ما لا يساوى ..

فأراني شخصاً عليه لباس رياسة ، فدنوت منه ، وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه ، ان كان

---

(١) ياقوت : ٦٩/١٥ .

لك غرض في هذا الكتاب تركته لك ، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده .

فقال لي : لست بفقيه ، ولا أدرى ما فيه ، ولكنى أقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط ، جيد التجليد استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه ، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير .

فأحرجني وحملني على أن قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيراً الا عند مثلك ، يعطى الجوز من لا عنده أسنان ، وأنا الذى أعلم ما في هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به ، يكون الرزق عندى قليلا ، وتحول قلة ما بيدى بيني وبينه »(١) .

فنلاحظ من القصة السابقة أن سوق الوراقين كانت مزدحمة ، ولذلك كان الدلال يذهب بالكتاب الى الزبون الغني ويعود الى الحضرمي

---

(١) نفح الطيب : ٤٦٣/١ .

بالزيادة ، والحضرمي لا يرى غريمه ، حتى طلب من الدلال رؤيته .

ومن الأدلة على ازدحام الناس فى تلك السوق أن أحد زبائنها ـ وهو عبد الله بن أحمد بن الخشاب ـ كان اذا حضرها ، وأراد شراء كتاب غافل الناس ، وقطع منه ورقة ، وقال : انه مقطوع ، ليأخذه بثمن بخس(١) :

ولم يكن حضور هذه السوق من أجل شراء الكتب ، أو الاطلاع عليها فقط . فأكثر الأسباب التى أدت الى ازدحام الناس فى سوق الوراقين ، هو اجتماع العلماء بعضهم ببعض فى تلك السوق . فهناك عالم ضرير هو أبو الغنائم حبشى بن محمد الشيباني النحوي ظل مداوماً فى سوق الوراقين طيلة عشرين سنة يأتيها كل ليلة مع قائده(٢) . فمن المؤكد أنه لم يداوم ليلياً عشرين سنة ليبحث عن الكتب ، وهو الضرير

(١) ياقوت : ١٢/٥١ .
(٢) ياقوت : ٧/٢١٦ .

الذى لا يقـــرأ ، وانمـــا كان قصـــده الاجتماع بالعلماء .

فدكاكين الوراقين ضمت اذن العلماء وطالبى العــلم من الذين يبغــون الشراء أو لا يبغونه ، روى أبو بكر بن كامل أن متأدباً كان يتقعر فى كلامه فيختار الألفاظ والتراكيب المعقدة . فورد يوماً على باب الطــاق عند أحد الوراقين ، وكان مخاصماً لذلك الوراق ، ولــكنه رأى عنده جمعاً من معـــارفه فوقف وسلم وقال للوراق : « لولا ما كنت بالذى » أى لولا من هنـــا ما كنت بالذى يقف على حانوتك(١) .

ومن خـــلال الاستعراض التـــالى للأخبار التى وصلتنا عن أســـواق الوراقين نجــد أن ندوات علمية وأدبيـــة فى مختلف المجالات كانت تعقد فى تلك الأسواق .

فمن مجالس الأدب ، نجد أن أبا نصر الزجاج اللغوي كان جالســاً مع أبى الفـــرج الأصبهانى

---

(١) ياقوت : ٩٣/١٨ .

صاحب الأغانى فى دكان بسوق الوراقين ، وكان أبو الحسين علي بن يوسف البقال الشاعر جالساً عند أبى الفتح ابن الحراز الوراق ، وهو ينشد أبيات الصولي التى يقول فيها :

رأى خلتى من حيث يخفى مكانهـــا
وكانت قـــذى عينيـــه حتى تجلت

فلمـا بلغ ذلك البيت صار يكرره ويعيده ، فلاحظ ذلك الأصفهانى فأرسـل اليـه تلميـذه الزجاج قائلا : « قم اليه فقل له : قد أسرفت فى استحسان هذا البيت ، وهو كذاك ، فأين موضع الصنعة فيه ؟ » .

قال الزجاج : فقلت له ذلك ، فقـال : قوله « وكانت قذى عينيه » . فعدت اليه ، وعرفتـه فقـال : عد اليـه فقل له : أخطأت ، الصنعة فى قوله « من حيث يخفى مكانها »(١) .

وأمثـلة كثيرة عن مجالس الفلسـفة رواها التوحيدي فى كتابه « المقابسـات » . فالمقابسـة

(١) ياقوت : ١١٢/١٣ .

تعنى قدح الأذهان والاقتباس المتبادل لنور الأفكار . والمناقشات التى جرى بعضها فى سوق الوراقين مسجلة فى ذلك الكتاب .

فالمقابسة رقم ٣٠ جرت فى سوق الوراقين بباب الطاق واشترك فيها أبو زكريا الصيمري أحد فلاسفة عصره ، مع أبى سليمان المنطقي ، زعيم فلاسفة عصره .

والمقابسة رقم ٤٠ عبارة عن مجلس يلقى فيه أبو زكريا الصيمري درساً فى سوق الوراقين بطاق الحرانى .

وفى المقابسة رقم ٤٢ شارك أحد الوراقين فى الادلاء برأيه فى مسألة فلسفية .

واختتم هذا الفصل بالوصف الشامل لدنيا الوراقين الذىكتبته المستشرقة هونكه التىيفيض كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » باعجابها بالحضارة الاسلامية :

« وفتحت اللهفة على اقتناء الكتب الباب أمام مئات الألوف من البشر لكسب عيشهم . فأصبح النُسّاخ والخطاطون مهرة فى فنهم ، ووظفت كل مكتبة أو متجر للكتب عدداً من هؤلاء ، وكان أغلبهم من الطلبة وأنصاف المتعلمين(١) الذين أرادوا عن هذا الطريق كسب رزقهم .

وانتشر منتجو الورق بطواحينهم فى سمرقند وبغداد ودمشق وطرابلس وفى فلسطين والأندلس ، وتبعهم المجلدون متأثرين بفن التجليد الصينيّ ، يعدون غلافات رائعة للكتب .

وكم من رزم من الأوراق ولترات من الحبر صنعت من السناج والصمغ العربي استهلكتها الأيدى الدائبة على الكتابة فى كل عام . وكم من جلود أمدتهم بها صغار الماعز قد استنفدت لهذا الغرض . وهكذا أصبحت تجارة الكتب ، تماماً كالصيدلة ، هدية قدمها العرب للبشرية .

---

(١) يرى القارىء فى كتابنا هذا فى اكثر من موضع ان الوراقين كانوا مثقفين وكان منهم العلماء والمؤلفون .

والواقع أن تاجر الكتب لم يعرف كوسيط لنقل الثقافة ، ومتاجر الكتب كمراكز للثقافة فى المدينة ، قبل أن يفعل العرب ذلك .

ففى سوق الكتب عند بوابة البصرة ببغداد ، التى كانت تضم أكثر من مائة متجر ، كان المتعلمون من كل أنحاء العالم الاسلامي يجتمعون. هنا يفتش الفيلسوف والشاعر والفلكي عما صدر حديثاً من الكتب ، وهنا ينقب الطبيب والمؤرخ وجامع الكتب عن النسخ القديمة ، وهنا وهناك يتناقشون جميعاً ، ويتبادلون المعرفة ، أو تقرأ عليهم برمتهم مقتطفات مما كتب »(١) .

٤ . طبيعة مهنة الوراقة

كانت الوراقة مهنة العلماء والمثقفين الذين لم يتصلوا بعمل يدرّ عليهم دخلا جيداً ، أو تجنبوا الأعمال التى تدخل فيها الشبهة ، فيتجه

(١) ص ٣٨٩ .

الحلال النظيف . وقد كان الوراقون يشكون من الواحـــد منهم للوراقة سـعياً وراء كسب العيش هذه المهنة الشاقة كما يشكو ناسخو الآلة الكاتبة اليوم .

من الأمثلة على ذلك أنه كان بنيسابور وراق يدعى أبا حاتم ، ورق بها خمسين سـنة ، وهو القائل :

ان الوراقـــة مهنـــة مذمـــومة
محـــــرومة عيشى بهـــــا زمن
ان عشـــت عشـــت وليس لى أكـــــل
أو مت مت وليس لى كفـــــــن(١)

وكان أبو بكر الدقاق المعروف بابن الخاضبة، الفقيه الأديب المتوفى سنة٤٨٩هـ ١٠٩٦م يقول: « لما كانت سنة الغرق (٤٦٦هـ) وقعت دارى على قمـاشي وكتبي . وكانت لى عائلـة ، الوالـدة والزوجة والبنت . فـكنت أورّق النـاس (أى أنسـخ لهم) وأنفق على الأهل . فأعـرف أننى

(١) يتيمة الدهر : للثعالبى .

كتبت صحيح مسلم فى تلك السنة سبع مرات . فلما كان ليلة من الليالى رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت ، ومناد ينادى : ابن الخاضبة . فأحضرت ، فقيل لى : ادخل الجنة . فلما دخلت الباب وصرت من داخل ، استلقيت على قفاى ، ووضعت احدى رجليّ على الأخرى ، وقلت : آه ، استرحت والله من النسخ(١) .

وتحدثنا الكتب أن أحد أولئك الوراقين(وهو أبو حيان التوحيدي الأديب الفيلسوف) حاول بما لديه من ثقافة أن يصل الى مكانة مرموقة لدى كبراء زمانه . فحاول مرة أن يتصل بديوان الصاحب بن عباد ، ولكن الصاحب طلب منه أن ينسخ رسائله التى بلغت ثلاثين مجلدة . فغضب أبو حيان من ذلك ، لأنه لو كان يريد الوراقة لعمل بها فى بغداد بدلا من أن يقصد الصاحب فى الري(٢) .

---

(١) ياقوت : ٢٢٨/١٧ .
(٢) ياقوت : ٢٦/١٥ .

وعمل بعض المثقفين فى الوراقة سعياً وراء لقمة العيش بعد كارثة فجائية تعرض لها من كوارث الحياة . ومن هؤلاء محمد بن سليمان بن قتلمش الذى كان نحوياً لغوياً أديباً عارفاً بالهندسة . وقد خلف له والده أموالا كثيرة ضيعها هو فى القمار ، فاحتاج الى أن يمتهن الوراقة ، فكان يورق الناس بأجر . ولكن نظراً لأنه كان سليل عائلة من الأكابر فقد توسط له أناس عند الناصر العباسي فولاه الحجابة(١) .

كما عمل بالوراقة أناس تعففوا فى طلب الرزق عن الشبهات ، فكان الواحد منهم يبتعد عن عمل قد لا يستحله تماماً فيعمل فى الوراقة . ومن هؤلاء : الامام الورع أحمد بن حنبل رحمه الله ، فقد عمل حيناً بالوراقة وحيناً بأعمال أخرى كان يطلب بها الرزق الحلال(٢) .

---

(١) ياقوت : ١٨/٢٠٦ .

(٢) ابن حنبل : لمحمود ابى زهرة .

٥ . مكانة الوراقة في المجتمع

كان الوراقون ذوى منزلة عالية فى المجتمع الثقافي عند المسلمين الأوائل . فكما أشرنا سابقاً كان معظم هؤلاء الوراقين من العلماء والمثقفين ، فلهذا كان العلماء والمثقفون يجلونهم ويقدرونهم .

روى ياقوت أن اسحاق بن نصير الكاتب البغدادي الأصل كان يكتب فى ديوان الطولونيين بمصر ، ويرسل الى الأشخاص الذين يجلهم ببعض المال كهدايا . فأرسل مرة ثلاثة آلاف دينار دفعة واحدة ، ألف للمبرد ، وألف لثعلب (وهما من فطاحل علماء اللغة والأدب المعروفين) ، وألف لوراق كان يجلس فى دكانه عندما كان ببغداد(١) .

فمن هذه القصة نلاحظ أن ذلك الوراق تساوى فى قدره مع المبرد وثعلب عند ابن نصير الكاتب .

(١) ياقوت .

وتمكن أحد الوراقين (ويدعى عمر بن أحمد الدينوري) من الحصول على النسخة الأصلية الوحيدة لكتاب ألثقه العلاّمة محمد بن جرير الطبري المؤرخ المفسر . ولم تقع هذه النسخة عند أحد غير ذلك الوراق ، حيث خرج بأجزاء الكتاب الأربعة الى الشام . فتعرض له قطاع الطرق ، ولم يبق معه سوى جزئين(١) .

فنلاحظ من هذا أن ذلك الوراق وصل بمكانته السامية عند الطبري وتلاميذه الى أن يحصل على ما لم يحصلوا عليه .

وعندما يترجم مؤرخو العلم والأدب لبعض الوراقين من أهل العلم نراهم يذكرون أخبارهم بكل احترام واجلال . ومن ذلك ما ذكره النديم نقلا عن البلخي فى كتابه « المحاسن » عن حارث ابن علي الوراق : « من أهل الدين والورع والتقى ، رئيس من رؤساء النظر ، قليل النظير فى زمانه ، وله تأليف محكم ، وكتب جياد مشهورة،

(١) ياقوت : ٧٧/١٨ .

ونقوض لعدة كتب من كتب ابن الراوندي . وكان في أيام أبى علي الجبائى ، وله معه مناظرات . واجتمعا بسوق الأهواز(١) » .

ويقول النديم نقلا عن كتاب « الباهر » لجعفر بن حمدان فى حديثه عن ابن طيفور : « كان مؤدب كتاب عامياً ، ثم تخصص وجلس فى سوق الوراقين(٢) » .

أى ان معلمي الكتاتيب كان ينظر اليهم على أنهم من العوام . ولكن الوراقين كان ينظر اليهم على أنهم من خاصة الناس ، تماماً كمشاهير العلماء وأصحاب المراكز المرموقة .

وقد يحدث أحياناً أن ينظر بعض الوزراء والكبراء الى الوراقين على أنهم من فئة غير عالية ، ولكن هذا ليس حكماً عاماً ، لأن أولئك المتكبرين كانوا يجابهون من قبل الوراقين وغيرهم بانتقاد شديد .

---

(١) الفهرست : ٢١٨ .
(٢) الفهرست : ١٦٣ .

ومن ذلك أن الصاحب بن عباد كلف أبا حيان التوحيدي بنسخ أشياء ، فمر الصاحب يوماً والتوحيدي ينسخ فنهض له قائماً . فقال الصاحب : « اقعد ، فالوراقون أخس من أن يقوموا لنا » فحز ذلك كثيراً فى نفس التوحيدي بالطبع ، وهَمّ بأن يقوم فيرد عليه ، فقال له الزعفراني الشاعر : « اسكت فالرجل رقيع » . فاستحال غيظ أبى حيان ضحكاً من تعليق الزعفراني . وقد ذكر التوحيدي القصة فى كتاب « مثالب الوزيرين » الذى ألّفه للنيل من الصاحب بن عباد وابن العميد ، وعلق عليها بكلام طويل مُر ينتقد به الصاحب(١) .

ومن ذلك أيضاً أن علان الشعوبي كان له دكان فى سوق الوراقين ينسخ فيه . فأحضر يوماً الى دار أحمد بن أبى خالد الأحول وزير المأمون لينسخ له بعض الكتب . فأقام علان ينسخ فى دار الوزير . فدخل عليه يوماً وهو ينسخ ، فقام

(١) ياقوت : ١٥/٢٦ .

له جميع من فى الحجرة غير علان الذى ظل قاعداً ينسخ . فقال أحمد : « ما أسوأ أدب هذا الوراق » فسمعه علان فقال : « كيف أنسب الى سوء الأدب ومنى تتعلم الآداب وأنا معدنها » . . . ثم حلف ايماناً أن لا يكتب بعد ذلك فى منازل الناس(١) .

٦. الوراقة كعامل مساعد في الابحاث العلمية

رأينا فيما سبق كيف أن العلماء كانوا شديدي الاتصال بزملائهم الوراقين الذين كانوا هم أيضاً علماء ومثقفين . ولهذا نجد العلماء من غير الوراقين كانوا يعتمدون على الوراقين كثيراً كمساعدين في أبحاثهم . فنجد أن العديد من هؤلاء العلماء كان لهم وراقون مخصوصون ينسخون مؤلفاتهم وينشرونها على الغير ، وينسخونلهم مؤلفات الغير لتضاف الى مكتباتهم.

(١) ياقوت : ١٩٢/١٢ .

فتُحَدثنا الكتب مثلا أن حنين بن اسحاق الطبيب المترجم كان له وراق يدعى الأزرق(١) والجاحظ كان له وراق اسمه عبد الوهاب بن عيسى ويعرف بابن أبى حبة(٢) . والجهشياري المؤرخ كان له وراق يدعى أحمد بن أحمد الشافعي(٣) . وأبو عبيد القاسم بن سلاّم كان له وراق يدعى أبا ثابت عبد العزيز(٤) . والمبرد كان له وراقان أحدهما ابن الزجاجى اسماعيل ابن أحمد ، والآخر الشاشي ابراهيم بن محمد(٥) . والفراء كان له وراقان أحدهما سلمة بن عاصم، والآخر أبو نصر بن جهم(٦) . والواقدي كان وراقه محمد بن سعد صاحب « الطبقات الكبرى » .

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ترجمة حنين وكان محمد بن الحسن بن دينار الأحول يورق له أيضاً كما فى « معجم الأدباء » لياقوت .

(٢) الأنساب للسمعاني ، مادة وراق .

(٣) معجم الأدباء ٢/١٣٧ .

(٤) المصدر السابق : ٧/١٤٢ .

(٥) الفهرست : ٦٥ .

(٦) ياقوت : ٢٠/١٢ .

كان هؤلاء الوراقون كما أسلفنا ينسخون الكتب بين يدي أساتذهم العلماء ولكن يبدو لنا كذلك أنهم كانوا يقومون بأكثر من هذا العمل ، فيساعدون الباحث باعداد المراجع له . فمن ذلك ما روي من أن الطبري المفسر المؤرخ طلب من الحسين بن حبيش الوراق أن يجمع له الكتب التى ألفها الناس فى القياس . فجمع له نيفاً وثلاثين كتاباً ، فأقامت عنده مدة بسيطة انقطع بعدها عن التدريس . فرد الكتب المذكورة الى الوراق وفيها علامات قد علم عليها بالحبر الأحمر(١) .

ومن أجل هذا كانت هناك دعوة فى عهدنا الحاضر بأن تطلق كلمة « وراق » على لفظة « السكرتير » الأجنبية .

هذا عن مساعدة الوراقين للعلماء من ناحية البحث العلمي . ولكن لم يكن دورهم فى هذا المجال ينتهى عند هذا الحد ، بل كانوا يفيدون

---

(١) ياقوت : ٨١/١٨ .

البحث العلمي فى مجال أوسع وأكثر فائدة فعندما يخرج الكتاب من بين يدي العالم يتلقفه الوراقون لنشره بين الناس ، وعندها يلقى العناية الفائقة من ناحية التصحيح والضبط .

قال ابن خلدون فى حديثه عن الوراقة : « ثم وقفت عناية أهل العلوم – وهم أهل الدول – على ضبط الدواوين العلمية ، وتصحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها وواضعيها ، لأنه الشأن الأهم من التصحيح والضبط ، فبذلك تسند الأقوال الى قائلها ، والفتيا الى الحاكم بها المجتهد فى طريق استنباطها . ومالم يكن تصحيح المتون باسنادها الى مدونها فلا يصح قول لهم ولا فتيا . وهكذا كان شأن أهل العلم وحملته فى العصور والأجيال والآفاق ... وكانت هذه الرسوم بالمشرق والأندلس معبدة الطرق واضحة المسالك . ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد فى أقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة . ومنها لهذا العهد بأيدى الناس فى

العالم أصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم فى ذلك . وأهل الآفاق يتناقلونها الى الآن ، ويشدون عليها يد الضنانة(١) » .

فابن خلدون اذن يقرر أن الوراقين لا يكتفون بنسخ الكتاب فقط ، وانما يصححون النقل . ويذكرون ممن نقلوا بسرد اسناد يتصل بمؤلف الكتاب . ويؤيد كلامه هذا ما ذكره القفطي فى « انباه الرواة » حيث قال :

« نقلت من خط ياقوت الموصلي الكاتب ما مثاله :

وجدت على ظهر الجزء الأول من كتاب « النبات » لأبى حنيفة الدينوري بخط أبى محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب ما هذه حكايته فنقلته :

وجدت بخط أبى عبد الله الحسين بن محمد ابن جعفر الخالع الشاعر رحمه الله ما هذه حكايته فنقلته :

---

(١) المقدمة : ٧٥٧ .

قرأت هذا الكتاب على القاضي أبي سعيد السيرافي ، ورواه لي عن مسبح بن الحسين ابن أخت أبي حنيفة الدينوري . وذكر أنه قرأه على خاله أبي حنيفة ، وقرأ عليه بهذه الرواية كتاب « الأنواء » ، وسمعته قراءة عليه . وقرأناه على أبي عبد الله الحسين بن هارون القاضي الضبي بهذه الرواية أيضاً ، وبقراءة أبي أحمد عبدالسلام بن الحسين البصري، وسمع أبو الحسين السمسمي ، وسمع الشريف المرتضى أبو القاسم.

نقله أحمد بن أحمد(١) في جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وخمسمائة .

وبخطه أيضاً (القائل لا يزال ياقوت الموصلي، والضمير في خطه يعود الى ابن الخشاب) على ظهر النسخة المذكورة :

---

(١) ذكر المحقق لكتاب القفطي أن أحمد بن أحمد هذا هو الشافعي الذي وردت ترجمته في معجم الأدباء لياقوت . وهذا خطا لان ياقوت ذكره قائلا بانه كان وراق الجهشياري المتوفي سنة ٣٣١هـ . فلا يعقل ان يعاصر الجهشياري ثم ينسخ كتاباً سنة ٥٢١هـ كما في النص المذكور أعلاه . واعتقد ان الصواب هو : « نقله عبد الله بن احمد بن احمد » اي ابن الخشاب المذكور في بداية النص .

قرأ جميع هذه المجلدة ، وعددها سبع عشرة كراسة على الشيخ يحيى بن الحسن بن أحمد بن البنّا من أولها الى البلاغ المقابل لنسخة الخالع بروايته عن أبى القاسم علي بن أحمد السري ، اجازة عن أبى عبد الله الضبي ، واجازة عن مسبح بن الحسين ، عن أبى حنيفة ـ عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب(١) فى مجالس آخرها يوم الأحد سابع رجب من سنة سبع وعشرين وخمسمائة . والباقى وجادة (أي درس من كتاب دون سماع من المدرس) لأنه لم يقابل بالمسموع من الضبي .

وأثبت بحمد الله نقل المذكور جميعه ياقوت ابن عبد الله في سابع رجب من سنة ستوستمائة، بمدينة الموصل(٢) .

فنرى من هذا النص كيف أن الوراقين فى

---

(١) عبد الله بن الخشاب فاعل للفعل « قرا » ، اى هو الذى قرا المجلدة على شيوخه المذكورين .

(٢) انباه الرواة ٤٢/١ .

عهد ازدهار الوراقة كانوا يدققون أسانيد الكتب ويضبطونها .

ومن ناحية أخرى كان هؤلاء الوراقون هم الذين يصححون نسخ القرآن الكريم التى ينسخونها . روى الزرقاني محدثاً عن يحيى بن أكثم أن يهودياً دخل على المأمون فجالسه ، فأعجب المأمون به ، ورغبه فى الاسلام فلم يرض . ثم مرت سنة جاء اليهودي بعدها فأسلم . فتعجب المأمون من ذلك ، فأخبره اليهودي أنه خرج من عنده فنسخ نسخة من التوراة حرّف فيها وباعها فقبلت منه ، ثم نسخ نسخة من الانجيل فباعها محرفة كذلك فقبلت منه ، ثم حرّف نسخة من القرآن ، فلما جاء بها الى الوراقين بصفتهم تجار الكتب راجعوا تلك النسخة وردوها اليه بعد اكتشاف التحريف(١) .

وبلغ من حرص الوراقين على تصحيح الكتب أن العالم منهم اذا ألّف كتاباً كان يطلب من

---

(١) الزرقانى على المواهب/ج ٥ .

قرائه تصحيح كتابه دون أخذ اذنه . فهـذا أمر غريب لا يحـدث الا ممن بلغ حـدأ من النزاهة العلميـة ينـكر معه ذاته ، ويتواضـع تواضع مدققي العلماء .

فممن فعـل ذلك محمـد بن اسـحق النـديم الوراق الذى قال فى حديثـه عن الحسن بن علي النـاصر للحق أحد أحفـاد علي رضى الله عنه : « هـذا ما رأينـاه مـن كتبـه . وزعـم بعض الزيدية أن له نحوأ من مائة كتاب ، ولم نرها . فان رأى ناظر فى كتابنـا شـيئاً منهـا ألحقهـا بموضعها ان شاء الله تعالى(١) » .

ومن ذلك قول ياقوت الحموي الوراق ، بعد أن سرد قصة فيها ذكر « عـلان » فى ترجمة عـلان الشعوبي . فان كان هو فهـو المراد ، وان كان غيره فقـد مرت بك حكاية ممتعة ، فاله' بها . وان تحقـق عنـدك أنه هو فأصلحـه مأجـورأ مثابأ »(٢) .

---

(١) الفهرست : ٢٤٤ .
(٢) ياقوت : ١٩٣/١٢ .

والخطاب فى كلام ياقوت موجه الى عموم قراء كتابه القيم .

فعادة كهذه يطلب فيها المؤلف من قراءه اصلاح كتابه لم أجدها عند غير الوراقين سوى فى كتاب واحد هو « وفيات الأعيان » لابن خلكان فى مقدمة الكتاب .

فمما سبق تتضح لنا كيفية عناية الوراقين بالكتب التى ينسخونها . ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أن ذلك لم يكن قاعدة عامة فى الوراقين جميعهم ، فلكل قاعدة شواذ طبعاً . حيث وجد من بين الوراقين من زيف الكتب بقصد ، ووجد فيهم من كان بسيط التعليم ، ومحدود الثقافة ، فلم يدقق فيما ينسخه .

فمن ذلك ما روي من أن وراقاً يدعى سندى ابن علي ـ كان وراقاً خصوصياً لاسحاق الموصلي ـ اتفق وشريك له على وضع كتاب نسباه الى اسحاق لكى يضمنا له الرواج(١) .

---

(١) ياقوت : ٦/٥٧ .

نستعرض فى هذا الفصل مهارة الوراقين فى انتاج الكتاب ونشره وتسويقه . فكانت صناعتهم هذه تمر في سلسلة من العمليات أهمها:

١ ـ الحصول على الورق بأرخص الأثمان .

٢ ـ الاجادة فى تزويق الكتاب وزخرفته ليروج .

٣ ـ اختيار أشهر الكتب فى أول صدورها والتحكم فى أسعارها .

٤ ـ تهريب الكتب النادرة من مكان الى آخر بقصد استجلاب المنفعة الزائدة .

فنستعرض اذن هذه العمليات واحدة بعد أخرى .

فقد كان الوراقون يتوخّون الحصول على الورق بأرخص وسيلة . ومن أهم ما ورد فى ذلك

استخدام الورق الزائد عن حاجة الدواوين الحكومية ، وذلك بعد الحصول عليه بأزهد تكلفة .

فمن ذلك أن ابراهيم بن سعيد الحبال المحدث الوراق كان يتاجر فى الكتب ، وكان قريب الصلة بالوزير جعفر بن الفضل المعروف بابن خزابة بمصر . وكان الورق الجيد يحمل الى ابن خزابة من سمرقند فيحصل الحبال على شىء منه(١) .

وكان فى خزانة كتب ابن خزابة عدة من الوراقين يشترون الورق نسيئة من الوزير . فأراد أحدهم أن يستقيل ، فأمر الوزير بقبول استقالته بعد أن ينظر فى حسابه ، فظهر أنه مديون للوزير بمائة دينار ، فتراجع عن الاستقالة(١) .

ومن ذلك أيضاً أن ابن البواب الخطاط الرسام الوراق الفنان كان يعمل فى ديوان بهاء

(١) ياقوت : ٦/١٧٦ .

الدولة البويهي ، وكان ذلك الأمير قد وعده بخلعة ودنانير ، ولكنه ماطله فيها . فلما كان يوماً قال ابن البواب : « يا مولانا ، فى الخزانة بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح ، فتعطينى المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير ؟ » قال : مر وخذه . قال ابن البواب: « فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت فيه سنين »(١) .

وبعد الحصول على الورق بأرخص الأثمان كانت العملية الثانية أن يجيد الوراق اتقان الكتاب لكي يضمن له الرواج . وقد مر بنا فى الفصل السابق كيف كان الوراقون يهتمون بالكتاب من ناحية التصحيح والضبط ، فكانوا بالاضافة الى ذلك يعتنون باجادة الخط وزخرفة الكتب ، وأحياناً رسم صور فيها . وأكثر ما اعتنوا بزخرفة صفحاته هو القرآن الكريم . فاذا وجد أى منا مخطوطة للمصحف الشريف

(١) ياقوت : ١٥/١٢٤ .

فانه يجد الآيات الكريمة قد خطّت بخط جميل جداً داخل اطار من الزخرفة البهيجة التى تعب فيها الفنان الوراق تعباً يليق بمقام الكتاب الجليل . حيث يرسم كل صفحة على حدة ، فلم يكن فى زمانهم طبع ولا تصوير . ومع هذا يجد المرء الابداع الهائل الذى أضرب صفحاً عن تفاصيله هنا . وقد يجد القارىء الذى يحتفظ بأعداد مجلة « الفيصل » فى مكتبته توسعاً فى هذا الموضوع عندما يقرأ التحقيق الصحفي الذى نشر عن مكتبة القرآن الكريم بالمدينة المنورة فى أحد أعداد السنتين الأوليين من المجلة .

وقد أشرنا فى الفصل الأول أن النديم قد ذكر عدداً من الذين كانوا يزخرفون المصاحف ، حيث سرد أسماءهم تحت عنوان « أسماء المذهبين للمصاحف المذكورين » (أى الذين ينقشون الاطارات فى صفحات المصاحف باللون الذهبي ولهم ذكر وشهرة) . وكان سرده للأسماء سرداً مجرداً دون ذكر شيء من أخبارهم .

وكانت المصاحف التيكتبها فنانون مشهورون تلقى العناية الفائقة على أعلى المستويات . وكان الوراقون المتفنون يدركون ذلك ، فيمتنون بهذه الناحية أشد اعتناء .

فمن ذلك أن ابن البواب السالف ذكره كان أمينمكتبة الأمير بهاء الدولة ، فوجد فيها مصحفاً بخط الوراقالفنان(الوزير فيما بعد) ابنمقلة. الا أنه كان فى تسعة وعشرين جزءاً وفقد منه جزء . فكلفه الأمير باتمام الجزء الناقص ، فقال ابن البواب : « السمع والطاعة ، ولكن على شريطة أنك اذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطينى خلعة ومائة دينار » . وقد وافق الأمير على ذلك ، ولكن ابن البواب لم يحصل فيما بعد سوى على ورق مقابل الخلعة والدنانير كما مر بنا سالفاً فى هذا الفصل .

وكانت العناية بزخرفة الكتب (ثم رسم صور فيها فيما بعد) جزءاً من النهضة الفنية التى عاشتها أقطار الاسلام . فابن البواب المذكور

كان فى بدايــة أمره مزوقاً يصــور الدور (أى يرسم نقوشاً فيها) ، ثم صور الكتب (أى صار يرسم نقوشاً فيها)(١) .

ويطول بنا الحــديث لو دخلنــا فى تفاصيل النقوش والصور التى كانت الكتب تزين بهــا ، والتــأثيرات الأجنبية التى دخلت على المسلمين فى ذلك المجال . وقد اهتم بهذا الموضوع أكثر من باحث ، كان أكثــرهم من المستشرقــين . وبين يديّ الآن بحثان يتعرضان له ، وهما :

١ ــ كتاب « الفن الاسلامي » تأليف أرنست كونل وترجمة أحمــد موسى ونشر دار صـــادر ببيروت ســنة ١٩٦٦م . الصفحات ٧٨ ، ٩٦ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٧٣ .

٢ ــ مقــالة « الفنون الاسلامية وتأثيرها على الفنــون الأوربيــة » تأليف كريستى ، ونشرت بكتاب « تراث الاسلام » الذى ترجمــه جرجيس

(١) ياقوت : ١٢١/١٢ .

فتح الله وطبع بدار الطليعة ببيروت سنة ١٩٧٢م . الصفحات ١٧١ ، ٢١٤ ـ ٢١٨ .

نأتي الآن الى العملية الثالثة من سلسلة العمليات المتعلقة بمهنة الوراقة المذكورة في بداية الفصل . فقد كان الوراقون يعرفون رواج كتاب معين بعدة أدلة ، منها شهرة المؤلف ، والاتجاه العام فى ميول القراء ، وغير ذلك . فلهذا تجدهم يحرصون على ذلك الكتاب لكي يجنوا منه أفضل المكاسب .

وقد مر بنا فى الفصل الخامس كيف أن أحد الوراقين استطاع الحصول على شيء من مؤلفات الطبري لم يحصل عليه تلاميذه . كما مر بنا فى آخر الفصل السادس كيف أن بعض الوراقين كان يقوم بتأليف كتب ، وينسبها الى المشاهير لكي يضمن رواجها .

وكان الكتاب الجيد ينادى عليه فى مزاد علني كما تباع التحف والمخطوطات النادرة واللوحات

القيمة اليوم . فيحرص مشتريه على الاحتفاظ به وعدم التفريط فيه .

قال محمد بن يحيى بن شيرزاد : « اتصل بى أن مسودة كتاب الأغانى ـ وهى أصل أبى الفرج ـ أخرجت الى سوق الوراقين لتبتاع . فأنفذت الى ابن قرابة ، وسألته انفاذ صاحبها لأبتاعها منه لى . فجاءنى وعرفنى أنها بيعت فى النداء بأربعة آلاف درهم . وأن أكثرها فى طروس(١) ، وبخط التعليق(٢) . وأنها اشتريت لأبى أحمد بن محمد ابن حفص . فراسلت أبا أحمد ، فأنكر أنه يعرف شيئاً من هذا . فبحثت كل البحث ، فما قدرت عليها »(٣) .

---

(١) اى مسودات . يقال طرس الخط اذا مسحت الكتابة ثم كتبت كتابة اخرى .

(٢) مر بنا فى الفصل الاول انه ابتكر لكل حالة من حالات الكتابة خطاً . والتعليق فى ذلك الزمان هو ما نسميه اليوم « الشرح على المعاملة » . فنستنتج من هذا ان خط التعليق كان خطاً غير معتنى به ، حيث انه يكتب به فى الامور المستعجلة .

(٣) ياقوت : ١٢٦/١٣ .

فكان الوراقون بعد الحصول على الكتب الجيدة يتصرفون فى ثمنها ويحددونه فى السوق . فعندما توفي ثعلب اللغوي الأديب المشهور خَلَّف كُتباً جليلة ، اشتراها الوزير القاسم بن عبيد الله ، حيث أحضر وراقاً يدعى خيران قوَّمَ ثمنها ، فقوَّمَ ما كان يساوى عشرة دنانير ثلاثة ، فاشتراها القاسم بسعر زهيد(١) .

وكما سعَّر خيران الوراق كُتب ثعلب بغير سعرها ، كانت عملية التسعير هذه متروكة على هوى الوراقين فيما يبدو . فجميع كتب الحسبة (أى الكتب التى تبحث مهام المحتسبين فى مراقبة كل حرفة وصناعة) التى بين أيدينا خالية من الاشارة الى مهنة الوراقين. رغم أن الحسبة شملت مراقبة الأطباء والجراحين والمدرسين والمؤذّنين والوعّاظ والمنجّمين وكُتّاب الرسَائل ، وكل هؤلاء من الطبقة المتعلمة كما هو واضح .

---

(١) ياقوت : ١٢٧/٥ .

فنستنتج من ذلك أن تسعير الكتاب لم يخضع للمراقبة

ويؤيد هذه الفكرة ما روي من أن الفراء عالم اللغة والنحو أملى كتاب « المعانى » على الوراقين، فاحتكره الوراقون ، وطلبوا سعراً كل خمسة أوراق ينسخونها بدرهم . فشكا الناس ذلك الى الفراء ، فحاول أن يرد الوراقين عن جورهم فأبوا ، فشرع يملى على الناس كتاباً أوسع وأشمل فى المعانى بقصد الغاء الأول . فعند ذلك جاء الوراقون اليه ، ورجوه أن يكف عن فعله ذلك ، وبدأوا ينسخون للناس من الكتاب الأول كل عشرة أوراق بدرهم(١) .

نأتى الآن الى العملية الأخيرة من العمليات التى اتبعها الوراقون لنيل المكاسب من مهنتهم . وهى تهريب الكتاب من مكان لآخر بقصد ترويجه . فقد مر بنا فى الفصل الخامس كيف أن بعض الوراقين حاول تهريب كتاب نادر للطبري من

(١) ياقوت : ١٢/٢٠ .

بغداد الى الشام ، ولكن لسوء حظه تعرض له قطاع الطرق فضاع منه نصف الكتاب .

وهناك قصة أخرى فى هذا المجال ، حيث كان أبو عبيدة معمر بن المثنى الأديب المشهور ضنيناً بكتبه على الناس . فالظاهر أنه كان يفضل أن يهديها الى أهل الجاه كي يربح جوائزهم . فحصل مرة أن استقدمه الكاتب اسماعيل بن صبيح من البصرة الى بغداد فى أيام الرشيد . وأحضر الأثرم الذى كان وراقاً فى تلك الأيام(١) ، وجعله في غرفة مغلقة ، وأعطاه كتب أبى عبيدة طالباً منه نسخها . فاتفق الأثرم مع مجموعة من الوراقين ـ منهم وراق يدعى أبا مسحل عبد الوهاب ـ على تهريب نسخ من تلك الكتب. قال أبو مسحل : «فكنت أنا وجماعة من أصحابنا نصير الى الأثرم . فيدفع الينا الكتاب والورق الأبيض من عنده ، ويسألنا نسخه وتعجيله ،

(١) ثم صار من علماء اللغة والحديث .

ويوافقنا على الوقت الذى نرده اليه . فكنا نفعل ذلك »(١) .

٨. أصناف الوراقين

رأينا في نشأة الوراقة(٢) نوعين من الوراقين : نوع ينسخ بالأجرة لمن يدفع له حسب كمية المنسوخ ، كمالك بن دينار . وصنف يعمل عند الأغنياء والحكام لكي ينسخ لهم مقابل أجر شهري أو سنوي ، كخالد بن أبى الهياج ، أو أنه يكون عبداً مملوكاً لا يحصل على مقابل لشغله .

ثم رأينا كيف أن الوراقين افتتحوا حوانيت لهم لما كثر الورق ففشا الكتاب ، وشاعت المعرفة بين الشعب .

على أن كل الأصناف الثلاثة ظل يمارس عمله جنباً الى جنب طوال عهد الحضارة الاسلامية . فهذا ما توضحه لنا الروايات المختلفة . فمن

---

(١) ياقوت : ١٥/٧٧ .
(٢) اى الفصل الثانى من كتابنا هذا .

قصص الصنف الأول ـ وهو الذىينسخ بالمقاولة حسب كمية المنسوخ ـ ما ورد فى كتاب « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة . حيث يحكى المؤلف عن الصاحب أمين الدولة وزير الأيوبيين (توفي ٦٤٨هـ ١٢٥٠م) :

« ... وكان أبى صديقه ، وكان بينهما مودة . فقال له يوماً : سديد الدين ! (اسم والد المؤلف) بلغنى أن ابنك قد صنف كتاباً فى طبقات الأطباء ما سبق اليه . وجماعة الأطباء الذين يأتون الي شاكرون منه . وهذا الكتاب جليل القدر ، وقد اجتمع عندى أكثر من عشرين ألف مجلد ما فيها شيء من هذا الفن ، وأشتهى منك أن تبعث اليه يكتب لى نسخة من هذا الكتاب ... ولما وصلنى كتاب أبى أتيت الى دمشق ، واستصحبت معى مسودات الكتاب ، واستدعيت الشريف الناسخ ، وهو شمس الدين الحسيني . وكان كثيراً ينسخ لنا ، وخطه منسوب فى نهاية الجودة . وهو فاضل فى العربية ، فأخليت

له موضعاً عندنا . وكتب الكتاب فى مدة يسيرة فى تقطيع ربع البغدادى أربعة أجزاء »(١) .

وقطع البغدادي ذراع فى ذراع ونصف .

ومن قصص النوع الذى ينسخ للأغنياء ما رواه ابن أبى أصيبعة أيضاً عن الطبيب اليهودي افرائيم بن الزفان : « وكانت له همة عالية فى تحصيل الكتب وفى استنساخها ، حتى كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب الطبية وغيرها . وكان أبداً عنده النساخ يكتبون ، ولهم ما يقوم بكفايتهم منه . ومن جملتهم محمد ابن سعيد بن هشام الحجري ، وهو المعروف بابن ملساقة . ووجدت بخط هذا عدة كتب قد كتبها لافرائيم ، وعليها خط افرائيم »(٢) .

فهؤلاء كانوا ناسخي المكتبات الخاصة . أما المكتبات العامة فقد أوقف لها الأغنياء الأموال التى تدفع للناسخين . فرووا أنه كان بمكتبة

---

(١) ٧٢٥ .
(٢) ص ٥٦٧ .

بنى عمار بطرابلس الشام مائة وثمانون ناسخاً، وكان هؤلاء النُسَّاخ يتبادلون العمل ليلا ونهاراً بحيث لا ينقطع النسخ ، ولا يقل الذين يؤدون عملهم فعلا عن ثلاثين ناسخاً فى أية ساعة من ساعات الليل والنهار(١) .

ولمزيد من الأمثلة على الناسخين الخصوصيين يمكن مراجعة كتاب « تاريخ التربية الاسلامية » لأحمد شلبي ص١٦٤ وما بعدها .

ويلاحظ أن هؤلاء النساخ الخصوصيون كانوا ينسخون الكتاب فلا يجلدونه على ما يبدو ، كما كان أصحاب الحوانيت يفعلون . فقد اقترح الوزير الصولي على الخليفة العباسي الراضي أن يسعى الى اقتناء النادر من الكتب للخزانة الملكية ، فينسخه الناسخون الذين تجرى عليهم الأرزاق ، ويجلده مجلدو الخزانة(٢) .

---

(١) تاريخ ابن الفرات .
(٢) أخبار الراضي والمتقي ، قطعة من « الاوراق » للصولى .

٩. تدهور الوراقة وانقطاعها

بعد عصر الوراقة الذهبي فى عهد الحضارة الاسلامية الزاهر بدأت هذه المهنة تتأخر بتأخر تلك الحضارة . وأول اشارة الى تدهور الوراقة نجدها فى مقدمة ابن خلدون الذى عاش فى الفترة من ٧٣٢ الى ٨٠٨هـ الموافق ١٣٣٢ـ ١٤٠٦م ، وذلك حين قال : « ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب وأهله ، لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبداوة أهله . وصارت الأمهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية ، ينسخها طلبة البربر صحائف مستعجمة برداءة الخط وكثرة الفساد والتصحيف . فتستغلق على متصفحها (أى تبدو مبهمة لمن يتصفحها) ، ولا يحصل منها فائدة الا فى الأقل النادر »(١) .

فاذا كانت الوراقة كما تحدث ابن خلدون فى بلاد المغرب فانها كانت لا تزال مزدهرة فى أقطار

(١) المقدمة : ٧٥٧ .

أخرى . فالقاهرة نشأت فيها سوق للوراقين سنة ٧٠٠هـ ـ ١٣٠٠م أو بعدها . وكانت فى أيام المقريزى مجمعاً لأهل العلم يترددون عليه(١) . وكذلك الحال في الشأم كما يلاحظ القارىء فى الفصل السابق .

ثم ما لبث الركود الثقافي أن خيم على كثير من بلاد الاسلام فيما بعد . ولكن لا نستطيع أن نقول أن الثقافة والعلم انقطعا ، ولا الوراقة أيضاً توقفت . فالمشتغلون بالمخطوطات يعرفون أن القسطنطينية مثلا ظلت طوال العهد العثماني مركزاً للثقافة . وهناك الكثير من المخطوطات التى خطت فى ذلك العهد بالقسطنطينية وغيرها .

ثم دخلت الطباعة الى العالم الاسلامي سنة ١١٢٩هـ ـ ١٧١٦(٢) عندما أفتى شيخ الاسلام

(١) خطط المقريزي ١٠٢/٢ ونقرأ فى « ريحانة الألباء » للخفاجي عن عبد الرحمن بن محمد الحميدي الذى توفي سنة ١٠٧٠هـ ، وكان شيخاً للوراقين في عصره وطبيباً وشاعراً .

(٢) وقبلها كانت مطابع خاصة صغيرة قد وجدت فى بعض الأديرة بالشام منذ حوالى ١١١٢هـ ـ ١٧٠٠م ، حيث كانت تطبع كتباً وادعية ومواعظ دينية مسيحية .

عبد الله أفندى بجواز الطباعة فى خطاب له موجه الى سعيد محمد جلبي وابراهيم أغا المجري اللذين أنشآ مطبعة فى القسطنطينية بدأت تعمل سنة ١١٤١هـ ١٧٢٨م (١) .

ولكن الوراقة لم تنقطع بدخول الطباعة ، لأن الطباعة ظلت الى عهد قريب غير متوفرة بشكل كاف لسد الحاجات . فكان طالبو العلم ينسخون الكتب لأنفسهم .

قال فيليب دى طرازى فى حديثه عن ناصيف اليازجي : «لما لم تكن الكتب لذلك العهد ميسورة (يقصد سنة ١٨١٠م) لقلة المطبوع منها ... كان جل معتمده على كتب يستعيرها من بعض الأديار والمكاتب القديمة ... ومنها ما ينسخها بخطه »(٢) .

وكان النسخ التصويري أيضاً غير متوفر فى ذلك الزمان ، وانما كانوا يصورون بالأفلام

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ، لجرجى زيدان : ٤٤/٤ .
(٢) تاريخ الصحافة العربية والمعربة ، فيليب دى طرازى : ٨٣/١ .

وباستعمال كاميرات غالية الثمن لا تتوفر عند الشخص العادي الدخل .

فلذلك ظلت الوراقة غير منقطعة بعد انشاء المطابع ، فشيخ الطريقة النقشبندية الصوفية كان له وراق خصوصي يدعى اسماعيل البرزنجي الذى توفي سنة ١٢٤٢(١) . وكان اسماعيل الطهوري المتوفي سنة ١٢١١هـ وراقاً عمومياً يورق لعموم الناس(٢) . بل ان هناك مخطوطات يرجع تاريخها الى عهد قريب جداً . فكتاب « تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من أنساب » لعبد الرحمن الأنصاري اعتمد محققه فى طبعه على نسختين كتبت احداهما سنة ١٣١٧هـ والأخرى سنة ١٣٥٦هـ .

وكتاب « العز والصولة فى معالم نظم الدولة » لعبد الرحمن بن زيدان المكناسي توفي مؤلفه سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م ، ومع ذلك طبع الكتاب

(١) حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر ، عبد الرزاق البيطار : ٣٢٦/١ .
(٢) المصدر السابق : ٣١٢/١ .

سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م اعتماداً على نسختين خطيتين كتبتا بعد المؤلف .

ولهذا فاننا نتساءل : هل انتهت الوراقة ؟

طبعاً هي كحرفة عامة انتهت منذ فترة ، ولكننا لا نستبعد وجود أماكن لا تتوفر فيها المطابع وآلات النسخ التصويري الفوري ، فيعمد أهلها الى النسخ باليد .

١٠. مشاهير الوراقين

عند محاولتى الأولى لكتابة هذا البحث أردت أن أجمع فيه سجلا بأسماء جميع الوراقين الذين وردت أسماؤهم فى المصادر والمراجع مع الاشارة الى تلك المراجع . وذلك لسببين : الأوَل هو انصاف هؤلاء الذين ظلمهم التاريخ المحابى لذوى الجاه والسلطان ، ومنحهم التقدير الذى يستحقونه كبناة لصرح من أعظم صروح حضارتنا . والثانى هو اظهار مدى الثقافة العميقة التى كانت لدى هؤلاء الوراقين ، حيث

نرى أن كثيراً منهم برع فى لون أو أكثر من ألوان العلم والأدب .

ثم اتضح لى أن كل كتاب للتراجم يحتوى على أسماء جملة من أولئك الوراقين الذين فرضوا أنفسهم على دنيا الثقافة والعلوم . فلو تحرينا جميع المصادر المطبوعة من كتب التراجم فسنخرج بأسماء المئات من المترجم لهم . ولو قرأنا جميع كتب التراث الاسلامي فسنخرج بمئات أخرى من الوراقين الذين ذكروا عرضاً فى سياق الأخبار والأحاديث .

ثم لا ننسى أن كل مخطوطة عربية فى مكتبات العالم يذكر ناسخها اسمه فى النهاية ، مع تاريخ نسخة لتلك المخطوطة(١) . فاذا أردنا تكوين سجل لأسماء جميع الوراقين فعلينا أن نراجع كل مخطوطة عربية فى مكتبات العالم العامة والخاصة . بالاضافة الى قراءة جميع كتب التراث الاسلامي كما سبق .

---

(١) الا اذا كانت المخطوطة ناقصة بحيث سقطت الصفحات الاخيرة منها.

فلهـذا عدلت عن محاولتى تلك ، ورأيت أن أقصر حديثى على المشـاهير من النوابغ فى تاريخ الحضارة الاسلامية الذين كانوا فى بداية حياتهم وراقين ، أو إمتهنـوا الوراقة فى فـترة ما من حياتهم ، أو كانت الوراقة مهنة ملازمة لهم طيلة حياتهم

١ ــ فمن هؤلاء الامام الجليل أحمد بن حنبل الذى كان ــ كما أسلفنا ــ يشتغل بالأعمال التى يتأكد من حِلِّها حسب اجتهـاده المعروف عنه . ومن تلك الأعمال كانت الوراقة التى لم يحترفها تمـاماً ، وانمـا كان ينسخ الـكتب للموسرين بأجرة

٢ ــ ومن هؤلاء : القاضى أبو سعيد السيرافي (توفي ٣٦٨هـ) امام أهل النحو فى عصره ، كان يعمل بالوراقة فىحداثته ، وترجمته فى «الأعلام» للزركلى ، مع مراجع هناك أضيف اليها « معجم الأدباء » لياقوت و « بغية الوعاة » للسيوطي .

٣ ـ ومن هؤلاء : محمد بن اسحق النديم (ت ٣٨٥هـ) مؤلف « الفهرست » الذى يعتبر من أهم الكتب التى اعتمد عليها فى جميع العصور (ولا يزال يعتمد عليه (للكتابة فى تاريخ الحضارة والعلوم الاسلامية وما يتصل بذلك من مواضيع . ترجمته فى « الأعلام » وفى مقالة لكاتب السطور فى « الهلال » المصرية عدد نوفمبر ١٩٧٣م .

٤ ـ ومنهم : يحيى بن عديّ (ت ٣٦٤هـ) رئيس علم المنطق فى عصره . كان يعمل فى الوراقة بنشاط بالغ لقلة ذات يده ، وقد تحدث عن ذلك صديقه النديم فى « الفهرست » . وترجمته فى« الأعلام »

٥ ـ ومن هؤلاء كان أبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٠هـ الأديب الفيلسوف ، وقد عمل بهذه المهنة على مضض لأنه كان يطمع طول حياته بالجاه . ولكنه قضى عمره بائساً بسبب أطماعه

هذه . وترجمتــه فى « الأعلام » ، وقد ألف عنه أكثر من كتاب .

٦ ــ ومن هــؤلاء : السريّ الرفاء الشــاعر (ت ٣٦٠هـ) . كــان يعمــل بالوراقــة كلمــا انقطعت عنه الصلات واحتاج الى المال . وأخباره فى الوراقة تجدها فى « معجم الأدباء » ليــاقوت ، وترجمته فى « الأعلام » .

٧ ــ ومن هؤلاء أحمد بن عبد الدائم المقدسي (ت ٦٦٨هـ) أحد المحــدثين الفقهاء الحنبليين . وكان من المكثرين للنسخ حيث كان ينسخ بسرعة هائلة ، فأنتج من ذلك الشيء الكثير خلال خمسين عاماً قضاها فى النسخ ، وفقــد بصره فى نهــاية حياته . ترجمته فى « الوافى بالوفيات » للصفدي وفى « نكت الهميان فى أخبار العميان » .

٨ ــ ومن هؤلاء ابن القوطية العــالم اللغوي المؤرخ الفيلســوف المحدث . وتجد ترجمتــه فى « الأعلام » .

٩ ـ ومن هؤلاء : الخطاط ابن مقلة (ت٣٢٨هـ) الذى ظلت المخطوطات التى خطها بقلمه تعتبر ثروة ثمينة طوال عصور الحضارة الاسلامية . وقد ترقى فى المناصب الى أن أصبح وزيراً للخليفة . وكان فى بداية حياته يعمل بالوراقة كما فى « معجم الأدباء » . وتجد ترجمته فى « الأعلام » .

١٠ ـ ومنهم دلال الكتب سعد بن علي (ت ٥٦٨هـ) الأديب الشاعر ، ترجمته فى « الأعلام » وفى « تاريخ آداب اللغة العربية » لزيدان .

١١ ـ ومنهم الحجاج بن مطر الفيلسوف الذى كان يترجم كتب اليونان فى عهد المأمون . ترجمته فى « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمن وفى « الفهرست » .

١٢ ـ ومنهم مؤرخ أندلسي يدعى أبا مروان الوراق لم أعثر له على ترجمة ، ولكن كلا من

ابن عذارى في كتابه « البيان المعرب فى أخبار المغرب » وابن الخطيب فى « الاحاطة بأخبار غرناطة » يقتبسان من كلامه نقلا عن كتب له أحدها كتاب « المقياس » .

١٣ ـ ومنهم أحمد بن طيفور (ت٢٨٠هـ) الأديب المؤرخ . ترجمته فى « الأعلام » .

١٤ ـ ومنهم مالك بن دينار (ت ١٣١هـ) المحدث الزاهد . ترجمته فى « الأعلام » وفى «تاريخ التراث العربي» لسزكين وفى «الفهرست» .

١٥ ـ ومنهم علان الشعوبي (ت ٢٣٠هـ) المؤرخ الأديب ، كان يعمل فى بيت الحكمة للرشيد المأمون . وترجمته فى « معجم الأدباء » وفى « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمن .

١٦ ـ ومنهم أبو عيسى الوراق (ت ٢٤٧هـ) الباحث المعتزلي ، ترجمته فى « الأعلام » وفى « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمن وفى « تاريخ التراث العربي » لسزكين .

١٧ ـ ومنهم الـكرماني محمـد بن عبد الله (ت ٣٢٩هـ) العـالم اللغوي النحوي . ترجمته فى « الاعلام » للزركلي و « الفهرست » .

١٨ ـ ومنهـم محمـد بن يوسـف الـوراق (ت ٣٦٢هـ) المـؤرخ الأندلسي ، ترجمتـه فى « الأعلام » .

١٩ ـ ومنهم ياقوت الحمـوي (ت ٦٢٦هـ) المؤرخ الأديب الجغرافي صاحب « معجم الأدباء » و « معجم البلدان » . وترجمته فى « الأعلام » .

٢٠ ـ ومنهـم السراج الوراق (ت ٦٩٥هـ) الشـاعر الـكبير . ترجمتـه فى « الأعلام » وفى « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمن .

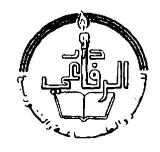
■■■

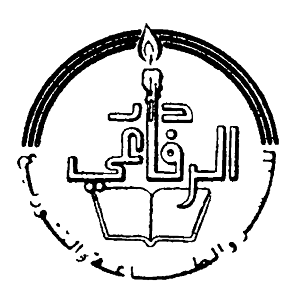
الفهرست

المجموعة الرابعة من سلسلة

المكتبة الصغيرة

٣١	الشباب دراسات ولقاءات	بقلم: احمد محمد جمال
٣٢	فيلســـوف	،، محمد حسن فقي
٣٣	امام الصابرين	،، عبد العزيز المسند
٣٤	المتنبي والقرامطة	،، د.محمد محمد حسين
٣٥	الأعمش الظريف	،، د. أحمد الضيب
٣٦	الأمير الشاعر	،، محمد عبد الغني حسن
٣٧	الوراقة والوراقون	،، لطف الله قاري
٣٨	أبو العلاء اللاهوري	،، د. ظهور أحمد أظهر
٣٩	وقفات مهمة في التاريخ الأفريقي	،، عبد الله حسن
٤٠	نجوم في آفاق العربية	،، د.عبده بدوي





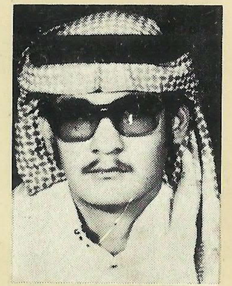
المقر الرياض ـ الملز ـ تفرع شارع جرير ص.ب (١٥٩٠)

تلفون ٤٧٧٧٢٦٩ ـ برقية : دار الرفاعي

المملكة العربية السعودية

مطابع واعلانات الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم



الكاتب بقلمه ..

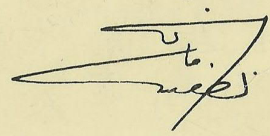
* ولدت بمكة المكرمة سنة ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م . ودرست بمدارس الفلاح بمكة المكرمة وجدة ، وحصلت على شهادة التوجيهية من ثانوية الشاطئ بجدة سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .

* حصلت على البكالوريوس في الفيزياء من جامعة البترول والمعادن بالظهران سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

* حصلت على الدبلوم العالي في الأرصاد الجوية من جامعة الملك عبد العزيز بجدة سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

* وأنا الآن مبتعث بأمريكا لتحضير الماجستير في علم البيئة من قبل الادارة العامة للأرصاد وحماية البيئة التي أنتسب إليها وظيفيا .

* وأكتب أحيانا بعض المقالات عن تاريخ الحضارة الاسلامية ، وذلك منذ سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م حين ظهرت أولى مقالاتي على صفحات مجلة «المنهل» بتشجيع من صاحبها العلامة الشيخ عبد القدوس الأنصاري أطال الله عمره .



مطابع واعلانات الشريف